إسهامات أسرة بني الخشاب في الحيـاة السيـاسية في مـدينة حـلب ما بين القرن الرابـع الهجري / العـاشـر الميلادي ـ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي

المدرس الدكتور عبد الحسن حنون جبرة الله
المدرس الدكتور سلام علي مزعل
المدرس الدكتور مهند عبد الرضا حمدان
جامعة ذي قار / كلية الآداب ـ قسم التأريخ

المقدمة

شهدت الساحة السياسية في مدينة حلب منذ مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وحتى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي عدة متغيرات سياسية وعسكرية ، نتيجة للصراع السياسي بين الخلافتين الفاطمية والعباسية أثر تزايد النفوذ الفاطمي في بلاد الشام عامة وحلب خاصة من جهة ، ونجاح بعض الامراء العرب في انشاء امارات خاصة بهم في حلب امثال الحمدانيين والمرداسيين والكلابيين والعقيليين وحتى دخولها في حوزة أملاك السلاطين السلاجقة سنة ٤٧٩هـ – ١٠٨٦م ،كما وانها تمتعت باستقلال شبه تام ابان سيطرة الاتابكة الزنكيين ومن بعدهم الايوبيين عليها ، ولم تعرف حلب استقرارا" سياسيا" ملحوظا" طيلة تلك الحقبة، فكانت ساحة للصراع العباسي- الفاطمي ، ومسرحا" للتدخلات البيزنطية والصليبية المباشرة وغير المباشرة

خارجيا"، وبروز الصراع الداخلي بين الأمراء المحليين وأطماعهم في الاستحواذ عليها اسوة بباقي مدن بلاد الشام الأخرى داخليا".

وقد أفرزت تلك الحقبة من حياة حلب بروز العديد من الأسر المشهورة في حلب حيث تبوأ أفرادها المناصب والمراكز العليا في إدارة شؤون المدينة ومنها أسرة بني الخشاب الحلبية ، فقد تقلد أبناؤها الزعامة الدينية والاجتماعية لأكثر من أربعة قرون وفي أغلب الأحيان الزعامة السياسية والعسكرية أيضا" ،لاسيما في أوقات فراغ السلطة في المدينة في ظل الظروف الحرجة التي مرت فيها حلب إبان الغزو الصليبي لبلاد الشام في الربع الأخير من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي بعد عزوف الكثير من الأمراء المسلمين وعدم الرغبة في حكمها وإدارة شؤونها بسبب العجز عن الدفاع عنها بوجه الخطر الصليبي الذي كان محدقا" بها .

ناهيك عن دلائل علو مكانة افراد الاسرة ، فقد كان ملوك وامراء حلب يخطبون ودهم والرغبة فيكسب ولاؤهم ومشاورتهم في الكثير من الامور السياسية والدينية والاجتماعية لما لهم من مكانة روحية لدى نفوس اهالي حلب ذات الغالبية الشيعية في تلك الحقبة التاريخية التي شهدتها المدينة.

ويهدف البحث إلى ابراز اسهامات اسرة بني الخشاب في الحياة السياسية في حلب منذ ان وطئت اقدام جدهم الاعلى (عيسى بن الخشاب) ارض المدينة في الربع الأول من القرن الرابع الهجري وحتى منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بما حفلت به هذه الحقبة من تطورات سياسية على الصعيد الخارجي أو الداخلي في حلب ، وانعكاس تلك الاحداث والتطورات على مجمل الحياة السياسية والاجتماعية للأسرة خاصة "وحلب عامة".

نسب الأسرة:

لا تتوسع المصادر التي بين ايدينا والتي ترجمت لأعيان حلب في ذكر نسبهما لأسرة سوى الإشارة إلى ذكر جدهم الاعلى (عيسى) ، وأقدم من ترجم لهذه الاسرة المؤرخ الحلبي الشهير كمال الدين بن العديم المتوفى سنة ٦٦٠هـ – ١٢٦١م ويعد من ابناء اسرة بني العديم الحلبية المشهورة والمعاصرة لأسرة بني الخشاب ومن المقربين لدى ابناؤها المعاصرين له، إذ لا يذكر سوى انها من

الاسر الهاشمية ولا يحدد لنا من أي بطون بني هاشم كانت هذه الاسرة ، فيذكر في ترجمة جد الاسرة (ابن الخشاب القاضي الهاشمي هكذا وقع لي) (١) ،ونراه في محل اخر يذكر اسم جدالأسرة ويقول(وعيسى الخشاب جدهم كان مقدما" في دولة بني حمدان)(٢) ، ويؤكد ذلك المؤرخ الحلبي ابن شداد المتوفى سنة ٦٨٤هـ– ١٢٨٥م ويذكر تاريخ نزوح عيسى إلى حلب والمكان الذي نزح منه في معرض ذكره نسب حفيده القاضي أبو الحسن محمد بن الخشاب بقوله ((وكان جده القاضي عيسى الناقل إلى حلب من حصن الاكراد(*) في أيام سيف الدولة علي بن حمدان))(٣). ومما يثبت نزوح الاسرة من هذا الحصن ما ذكره ابن العديم في ترجمة حفيد جد الاسرة الفقيه أحمد بن الحسن بن عيسى إذ قال عنه(أبو الفتح الحلبي الكردي)(٤) والكردي نسبة إلى المكان الذي نزحت منه الاسرة إلى حلب ،لكن الاسرة اشتهرت بلقب(الخشاب) (*) ،ولا ترد في المصادر المتقدمة تفسيرا" لسبب اطلاق هذا اللقب على الاسرة ، والتفسير الوحيد الذي بين ايدينا ما ذهب إليه الاستاذ أمين معلوف من ان سبب التسمية بـــ (الخشاب) يعود إلى ان جدهم الاكبر(عيسى) كان يمتهن تجارة الخشب ومنها اشتقت التسمية(٥).

أما عن مكانة الاسرة في حلب ، فقد نال بنو الخشاب المكانة المرموقة لدى ملوك وامراء حلب الذين تناوبوا على حكم المدينة ، وكان هؤلاء الملوك والامراء يخطبون ودهم والتقرب اليهم لتطييب قلوب اهل حلب وكسب ولاءهم ، وقال عنهم ابن العديم (من بيوت حلب القديمة وعيسى الخشاب جدهم كان مقدما" في دولة بني حمدان وتقدم بنوه وعقبه بعده ورأسوا بها واتخذوا الاملاك بحلب ومال اليهم الشيعة بها وتولوا المراتب السنية)(٦) ، أما ابن شداد قال عنهم (رؤساء حلب وكبرائها واعيانها)(٧) وفي محل ذكره لأخبار القاضي أبو الحسن بن الخشاب قال عنه((ولم يزل لأسلافه المكانة عند الملوك والمشاورة اليهم في الدول))(٨) وقال الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـــ -١٣٤٧م ((وهم بيت حشمة وتشيع))(٩)،وأما المؤرخ ابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٤٧هـــ – ١٤٤٣م فقد أكد زعامتهم الدينية في حلب وقال عنهم في معرض ذكره للأسر الحلبية العلمية والدينية((من أرباب العمائم))(١٠) ،وتابعه المؤرخ المعاصر الحلبي الغزي وقال ((من اهل بيوتات العلم في حلب))(١١).

ومما يدل على علو مكانتهم وزعامتهم ان اغلب المؤرخين الذين اهتموا بذكر تاريخ الاسرة قد اطلقوا على ابناؤها الفاظ ((القاضي)) و((الرئيس)) و ((الامام)) و((الصدر))و((العالم))[١٢] وهذه الالفاظ والمفردات تدل على علو كعبهم في العلم والمعرفة والسياسة ،لاسيما وان هذه الالفاظ بالأصل تطلق على الزعامة الدينية والسياسية .

ولم تقتصر اسهامات الاسرة في جوانب الحياة السياسية ، بل كانت لهم الريادة والسبق في الحياة الاجتماعية والدينية والفكرية في حلب ، فقد اعتنوا ببناء المساجد والجوامع والمشاهد المقدسة لدى الحلبيين وترميمها والانفاق عليها ،كما كانت لهم مكتبة عامرة سميت باسمهم ((مكتبة بني الخشاب)) ،وقد اعتنوا أيضا" ببناء الحمامات العامة والخاصة ، وتملكوا الاقطاعات الواسعة ومنها اقطاع ((قرية الهوته))- في اطراف حلب- والكثير من البساتين ، وكانوا يصرفون جزءا" من عوائد تلك الاقطاعات على الفقراء والمحتاجين في حلب سيما أوقات حصارات المدينة ، ولهم تربة خاصة بالأسرة سميت بـــ ((تربة بني الخشاب)) ،وسمي أحد دروب المدينة باسمهم ((درب بني الخشاب))[١٣].

وأما في الحياة السياسية موضوع البحث ،فقد نال بنو الخشاب الحظوة لدى امراء حلب منذ ان وطئت اقدام جدهم الاكبر(عيسى) أرض حلب واستقر فيها وحتى أفول نجم الاسرة بعد اكثر من اربعة قرون من الزمن ، فكان عيسى بن الخشاب قاضياً في عهد الامير سيف الدولة الحمداني وحظي بتقديره وتوقيره ومشاورته ومجالسته ، ويذكر ابن العديم الحلبي أيضاً ان عيسى بن الخشاب كان يعقد لهم مجلسا" في حلب في أيام سيف الدولة الحمداني يرتاده الشعراء والأدباء وأرباب السلطة في ناحية من نواحي حلب تدعى (حلية العرب) وكان من مرتادي هذا المجلس الشاعر المشهور أبو الطيب المتنبي[١٤].

ويرد ذكر أبناء من الاسرة في بنود الهدنة التي عقدها متولي حلب ((قرغويه)) غلام سيف الدولة الحمداني مع امبراطور الروم نقفور سنة ٣٥٩ هـــ – ٩٦٩م ، وقد رضخ قرغويه لشروط الهدنه المهينة والمذلة التي اشترطها عليه الامبراطور البيزنطي بعدما كانت حلب قاب قوسين من السقوط بيد الروم ، ومن بين هذه الشروط ان يقوم قرغويه بتسليم بعض اعيان وكبار المدينة للروم

رهائن لدى الامبراطور ضماناً لتنفيذ شروط الهدنة ، إذ يذكر ابن العديم في احداث سنة ٣٥٩ هـ،بنود الهدنة ويقول((وحلف على ذلك جماعة من شيوخ البلد مع الحاجب بكجور وسلم اليهم رهينة من اهل حلب أبو الحسن بن ابي اسامة وكسرى بن كسور وابن اخت ابن ابي عيسى وأخو ابي الحسن الخشاب وابو الحسن بن ابي طالب وابو الطيب الهاشمي وابو الفرج العطار ويمن غلام قرغويه ، وكان المتوسط في الهدنة رجل ها شمي من أهل حلب يقال له طاهر))(١٥).

كما اختار الامير سعد الدولة ابي المعالي بن سيف الدولة الحمداني ((٣٥٦هـ /٩٦٦م – ٣٨١هـ – ٩٩١م)) احد ابناء الاسرة ليكون سفيره إلى الخليفة الفاطمي العزيز بالله سنة ٣٦٣هـ—٩٧٣م وكانت مهمة السفارة الحلبية نقل رسالة جوابية من الامير الحلبي إلى الخليفة الفاطمي تتضمن موافقة الامير سعد الدولة على اقامة الخطبة للخليفة الفاطمي في حلب ، وقد اشار المؤرخ ابن العديم إلى اخبار تلك السفارة وقال((وقيل ان سعد الدولة استولى على حلب سنة ٣٦٣هـ ووصله في شهر ربيع الأول رسول العزيز وأبو القاسم أحمد بن إبراهيم الرسي من مصر ،فأقام الدعوة له بحلب في هذه السنة وأرسل معه إلى مصر في جواب الرسالة قاضي حلب، وأظنه ابن الخشاب)) (١٦).

وفي خضم تزايد حدة الخطر البيزنطي على حلب في الربع الأول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، فقد انتهز الامبراطور البيزنطي (أرمانوس الثالث) فرصة حدوث انشقاق بين افراد الاسرة المرداسية الحاكمة في حلب ، وقام بتجهيز حملة عسكرية كبيرة قادها بنفسه بقصد اجتياح بلاد الشام عامة وحلب خاصة في سنة ٤٢١هـ –١٠٣٠م ، وسرعان ما تهاوت مناطق الثغور الشامية والجزرية وسقطت بيد قوات الامبراطور ارمانوس الثالث، وبعد ان دخلت قواته مدينة انطاكية ، فقد اصبح الطريق سالكاً أمام الامبراطور للاستيلاء على حلب ، وبالفعل فرضت القوات البيزنطية حصاراً خانقاً عل حلب بهدف اضعافها واحتلالها (١٧) ،لكن شاءت الاقدار ان تصمد حلب بوجه الحصار الصليبي بفضل استماتة أهلها بالدفاع عنها لتنجو من السقوط بيد الروم البيزنطيين ، وكان في مقدمة المدافعين عن المدينة الفقهاء والعلماء

والقضاة والزهاد ، فلم يقتصر دورهم على حث المسلمين على القتال والجهاد ، بل شاركوا إلى جنب اهالي المدينة في مقاتلة الاعداء ، ويشير المؤرخ ابن شداد إلى مشاركة القاضي أبو الحسن محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن الحسن بن عيسى بن الخشاب في حملة الدفاع عن المدينة وبمعيته جموع المتطوعة من اهالي حلب وقوات الاحداث(*) ، ويشير أيضاً إلى مشاركة الزاهد والعابد والفقيه ابي نمير العابد عبدالرزاق بن عبد السلام بن عبد الواحد الاسدي بنفسه إلى جانب اهل المدينة وانه قد سجد على ترس له للدعاء بالنصر للمسلمين(١٨)، وبفضل استماتة الحلبيين بالدفاع عن بلدهم فقد اضطر الامبراطور البيزنطي ((ارمانوس الثالث)) إلى الانسحاب وترك حصار حلب والعودة بقواته إلى بلاده(١٩) ، ويروي ابن العديم روايتين في سبب تقهقر الروم البيزنطيين ، الأولى تشير إلى ادعاء الامبراطور البيزنطي ان سبب فشل الحملة يعود إلى العطش وقوله((لولا عطش عسكري لبلغت مرادي)) (٢٠) ، وهذا التبرير بعيد كل البعد عن الواقع كما نرى إذ ما علمنا حسن اعداد وتجهيز وتنظيم الحملة لاسيما وانها بقيادة الامبراطور نفسه ، علاوة على ان القوات البيزنطية قد تمكنت من اجتياح شمال الشام الغني بالموارد المائية وسيطرتها على منابع المياه ومنها (نهر العاصي)(٢١)، والرواية الثانية لابن العديم تذكر ان الامبراطور البيزنطي رأى في منامه رؤيا وقائلاً يقول له((أرحل عن هذه البلدة والا هلكت ، أتتزل عليها وفيها الساجد على الترس في ذلك البرج واشار إلى البرج الذي فيه ((مشهد النور)) فانتبه ملك الروم وذكر المنام –أي الرؤيا- لأصحابه وصالح اهل حلب وقال لا أرحل حتى تعلموني من كان الساجد على الترس في ذلك البرج فكشفوا عنه فوجدوه ابن ابي نمير ورحل ملك الروم عن حلب))(٢٢)، أما ابن شداد فيروي الرواية أيضاً لكنه يذكر انه رأى السيد المسيح (ع) (٢٣).

وان كانت هذه الرواية تبريرية اكثر مما هي واقعية وتعد في باب الغيبيات ان حدثت الرؤيا فعلاً ، لكن نستفيد منها في اثبات مشاركة زهاد واعيان المدينة في القتال إلى جانب المدافعين عنها ضد الغزو البيزنطي ، ولأهمية مكانتهم في الحياة العامة ، فلم تغفل المصادر ذكرهم وادوار مشاركتهم.

وابان السيطرة السلجوقية على حلب ، فقد حظي بنو الخشاب بمكانة مرموقة أيضاً لدى والي المدينة قسيم الدولة آق سنقر الذي حكم حلب بتفويض من قبل السلطان السلجوقي ملكشاه ((٤٧٩هـ - ١٠٨٦م / ٤٨٧ هـ – ١٠٩٤م)) [٢٤] ،فقد انتهج سياسة التقرب والموادعة تجاه اسرة بني الخشاب توخياً لاستقرار اوضاع الحكم فيها ، وخشية الدخول في صدام مع القاضي أبو الحسن بن الخشاب لميول وولاء اهل حلب لشخصه ، رغم ان المصادر وصفت آقسنقر بالحاكم القوي ، فكان القاضي أبو الحسن من اقرب المقربين للوالي ويحظى بتقديره وتوقيره ، مما زادت تلك العلاقة من حساده ومبغضيه فظهرت الدسائس والمؤامرات والوشايات من قبل حاشية الوالي حسدا للقاضي ، ومن بينه ناظر المدينة أبو نصر بن النحاس الذي حاول تحريض الوالي آقسنقر ضد القاضي ابن الخشاب بعدما قام القاضي بتعمير منارة المسجد الجامع في حلب سنة ٤٨٢هـ –١٠٨٩م ونقل الحجارة اليه من اتون معبد قديم للنار في حلب ، وقد انتهز ابن النحاس الفرصة للإيقاع بين الاثنين ، بحجة ان القاضي تصرف بأملاك الوالي بدون علمه وأمره ، غيران نباهة القاضي ابن الخشاب قد أفشلت مسعى ابن النحاس بعد ان بين القاضي ابن الخشاب انه كتب اسم الوالي على منارة المسجد فرضي منه الوالي وشكره[٢٥].

وبعدما آلت اوضاع السلطنة السلجوقية إلى التنازع والانقسام بين افراد البيت السلجوقي أثر وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ – ١٠٩٢م، فقد انفرد اخية تاج الدولة تتش في حكم بلاد الشام وحاول السيطرة على العراق وبلاد فارس،إلا انه قتل في الري على يد بركياروق بن ملكشاه سنة ٤٨٨هـ – ١٠٩٥م،وعلى أثر ذلك فقد تقاسم الأبناء املاكه في بلاد الشام خلفه ، فكان تدمشق من نصيب ابنه دقاق ، بينما كانت حلب من نصيب الملك رضوان الذي حكم حلب حتى وفاته سنة ٥٠٧هـ - ١١١٣م [٢٦].

وفي عهد الملك رضوان شهدت حلب أعتى رياح الغزو الأجنبي المتمثل بالغزو الصليبي الذي بانت مقدمته ووصلت إلى بلاد الشام سنة ٤٩٠هـ - ١٠٩٧م وتمكنت بسهولة من احتل المدن مهمة مثل انطاكية والرها وطرابلس وبيت المقدس في غضون عامين فقط ، وبالتالي وقعت حلب بين فكي كماشة

الصليبين حتى كانت غاراتهم تصل إلى أبواب واسوار المدينة [٢٧] ،ومن جانب آخر فقد عانت حلب كثيراً من الحروب الدموية التي كانت تدور بين الامراء المسلمين في بلاد الشام بدافع زيادة النفوذ والتوسع كلا على حساب الآخر، مما ادى ذلك إلى تدهور الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في حلب ، وتجلى ذلك بوضوح في وقوف بعض هؤلاء الامراء إلى جانب الامراء الصليبين ضد اخوانهم في الدين والأرض[٢٨] ،ويقدم لنا المؤرخ ابن العديم صورة وافية عن الوضع المزري في حلب بعدما فقد رضوان سيطرته على معظم مناطق نفوذه حيث يقول ((ولم يبق في يد الملك رضوان من الاعمال القبلية الآ حماة وليس في يده من الاعمال الغربية شيْ)) [٢٩] ،وفي ظل هذا التدهور الذي شهدته حلب، فقد أخذ اسم القاضي أبو الحسن بن الخشاب يتردد كثيراً في معظم الاحداث التي مرت بالمدينة حتى اغتياله غيلة بالقرب من داره سنة ٥١٩هـ – ١١٢٥م، وقد ساعده تأييد اهل حلب له رغم اختلاف ميولهم المذهبية في تبوأ زعامة المدينة والوقوف بوجه بعض قرارات الملك رضوان[٣٠] ، فكان رضوان يحاول دائماً استرضاء القاضي ابن الخشاب ويتحاشى الدخول في منازعة معه ، غير ان واقع الحال كان يشير إلى تدهور العلاقة بين الاثنين في الكثير من الاحيان ، فقد انكر القاضي أبو الحسن بن الخشاب على الملك رضوان سياسته في تقريب الاسماعيلية بعدما ((ظهر مذهبهم في حلب وشايعهم رضوان وحفظ جانبهم وصار لهم بحلب الجاه العظيم والقدرة الزائدة وصارت لهم دار الدعوة بحلب في أيامه)) [٣١] ،مما ساء ذلك أهل حلب وأعيانها الذين كانوا يكنون العداء للإسماعيلية فأخذ أهل حلب يطلقون ((ألسنتهم بالسب له وتعييبه)) [٣٢] ،اذ ان رضوان يبغي من وراء تحالفه مع الاسماعيلية الوقوف إلى جانبه وتثبيت اركان حكمه في مواجهة خصومهم من أمراء الشام [٣٣].

وقد احتج القاضي أبو الحسن بن الخشاب أيضاً بعد ان رضخ الملك رضوان لشروط أمير انطاكية الصليبي(تنكريد) في معاهدة الصلح التي جرت بين الطرفين سنة ٤٩٦هـ –١١٠٢م ومن بين هذه الشروط المذلة ان يقوم رضوان بتعليق جرساً على قمة قلعة حلب وأن يضع صليباً على منارة المسجد الجامع في حلب[٣٤] ، مما اثار ذلك هياج الحلبيين وأغضب القاضي ابن الخشاب

،الذي أرغم الملك رضوان على العدول عن هذا الامر ، مما استدعى ان يقوم الملك رضوان بمراجعة تنكريد ونجح في اقناعه بوضع الصليب أعلى بناية الكنيسة العظمى في حلب [٣٥]، وعاد الهدوء إلى المدينة بعدما عاشتا أوقاتاً عصيبة لأيام ، ومذاك والملك رضوان يتحاشى الدخول في صراع مع ابن الخشاب[٣٦].

وأزاء تزايد خطر الامير الصليبي تنكريد الذي كثف من غاراته على نواحي حلب الشمالية والغربية ومنها ((أرتاح)) و ((الأثارب)) قبيل سنة ٥٠٤هـ – ١١١٠م وانشغال رضوان في صراعه مع اخيه دقاق حاكم دمشق[٣٧]، فقد انتهز هذا الامي الفرصة وبالاتفاق مع أمير الرها_شمال شرقي حلب – على مهاجمة المدينة بدافع الحصول على الغنائم والاسلاب والاموال، وتهديد طرق التجارة الحلبية المارة صوب البحر لزيادة الضغط على المدينة[٣٨] مما أدى تدهور الاوضاع المعاشية في حلب أن يأخذ شيوخ البلد وأعيانها المبادرة وعلى رأسهم القاضي أبو الحسن بن الخشاب ، فقرر الجميع أرسال وفد إلى بغداد لطلب النجدة من الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي ، وانقاذ حلب من السقوط بأيدي الصليبيين وضم الوفد عددا" من الفقهاء والزهاد والتجار ورجال الصوفية[٣٩] وقد أحدثت أخبار وصول الوفد الحلبي بغداد ضجة كبيرة في أوساط أهل بغداد ، لاسيما في صلوات الجمعة، فيذكر المؤرخ ابن القلانسي المتوفى سنة ٥٥٥هـ – ١١٦٠م والمعاصر للأحداث ان المصلين في جامع السلطان محمد هاجوا(وأنزلوا الخطيب عن المنبر وكسروه وصاحوا وبكوا لما لحق الاسلام من الافرنج وقتل الرجال وسبي النساء والأطفال ، ومنعوا الناس من الصلاة والخدم والمقدمون يعدونهم عن السلطان بما يسكنهم من انفاذ العساكر والانتصار للإسلام من الافرنج الكفار)) [٤٠] ،ثم عادوا في الجمعة التالية إلى التظاهر في مسجد الخليفة العباسي المستظهر وفعلوا الشيْ نفسه [٤١] مما تسبب ذلك في حرج الخليفة والسلطان معا" ، وبقصد التهدئة فقد أوعز السلطان محمد بتجهيز حملة عسكرية وأناط مهمة قيادتها لأمير الموصل الاتابك مودود وارسل معه بعض الأمراء وذلك في سنة ٥٠٥ هـ –١١١١م [٤٢] وكانت هذه الحملة أشبه بالرمزية ومحاولة من جانب السلطان لتهدئة الوضع في بغداد ، فلم تحقق

الحملة أي من الاهداف التي كان الوفد يمني النفس فيها ، كما كانت للمنازعات بين أمراء الموصل والعراق من جهة وأمراء بلاد الشام والتشكيك في نوايا كل منهم من جهة أخرى عاملا" آخر في فشل الحملة [٤٣] ،فيذكر ابن العديم عجز الامير مودود عن دخول حلب تحت وطأة الإجراءات التي اتخذها الملك رضوان لمنع اية اتصالات بين قائد الحملة وأهالي حلب ، إذ عمد إلى أغلاق أبواب المدينة واعتقال أعيانها وشيوخها ومن بينهم القاضي أبو الحسن بن الخشاب وأودعهم في سجن القلعة ،وأصدر أمرا" بمنع التجول في الليل خشية من تسرب الحلبيين والالتحاق بالحملة ومنع وصول الاخبار إلى الامير مودود [٤٤] ،فعادت قوات الموصل إلى بلادها وتفرق الأمراء إلى بلادهم [٤٥].

وتبرز شخصية القاضي أبو الحسن بن الخشاب في أيام مرض الملك رضوان سنة ٥٠٧هـــ—١١١٣م الذي عانى من مرض عضال ، فأخذ يعد العدة للسيطرة على المدينة ومنع خدم رضوان من التصرف بأمورها ، وما أن علم بوفاة الملك رضوان في قلعة المدينة في ٢٨ جمادي الآخرة سنة من تلك السنة حتى نزلت ((قوات الاحداث)) وأنصاره من أهالي حلب وتمكنوا من احكام سيطرتهم على كامل المدينة ، ولم يكن غرض القاضي الاستحواذ على السلطة بقدر فرض تأثيره على قرارات الملك الجديد ألب أرسلان بن الملك رضوان الذي عينه أباه خلفا" له في حكم حلب وكان عمره يومذاك ست عشرعاما"[٤٦]، وقد اتصف الملك الجديد بسوء السيرة ، فالمؤرخ ابن العديم يذكر انه ((كان متهورا" قليل العقل))[٤٧] ،وكان مدمنا" للخمرة وانهمك في المعاصي واغتصاب الحرم والقتل ،وكان مدبر أمره خادم أبيه لؤلؤ اليايا الذي لم يكن ينقص عن سيده شيْ من السوء ، فقد قبض ألب ارسلان على جماعة من خواص أبيه فقتل بعضهم وأخذ أموال الآخرين حال تسلمه حكم المدينة بمشورة الخادم لؤلؤ اليايا[٤٨] ، وقد أثار ذلك العمل وغيره حفيظة القاضي أبو الحسن بن الخشاب الذي لم ترق له اراقة الدماء ، ونجح في اقناع الملك ألب أرسلان بالكف عن ذلك والا يغرق المدينة في حمام من الدماء وان يكتفي بمعاقبة المسيئين للعبرة[٤٩]،وتمكن القاضي أبن الخشاب من ارغام ألب أرسلان أيضا" على العدول عن سياسة أبيه في تقريب الاسماعيلية في حلب بعد ان زادت أعدادهم بكثرة

((وتابعهم كثير من الخلق طلبا" لجاههم، وصار كل من أراد ان يحمي نفسه من قتل أو ضيم التجأ اليهم))[٥٠] ،وزاد الوضع أكثر تعقيدا" خشية أعيان المدينة وتجارها من سطوة ((أحداث الاسماعيلية)) وميلهم للعنف والقوة في نشر أفكارهم وقتل كل من يعارضهم ، وقد رضخ ألب أرسلان لمطالب اهل المدينة من جهة ، وتجدد دعوة السلطان محمد له في التخلص من الاسماعيلية من جهة أخرى[٥١]،فعمد إلى اخراجهم من مقرهم في قلعة المدينة وزاد على ذلك انه ((قتل منهم ثلاثمائة نفس وأسر مائتين وطيف برؤوسهم في البلد وذلك في سنة ثمان وخمسمائة))(٥٢)،وتفرق الناجون منهم صوب الرقة وشيزر[٥٣] .

وزادت الاوضاع سوءاً اثر مقتل الملك ألب ارسلان بن رضوان على يد خادمه لؤلؤالياليا في ربيع الآخر سنة ٥٠٨ هـ– ١١١٤م،وتنصيب لؤلؤ نفسه وصيا "على الملك الصغير سلطان شاه بن رضوان البالغ من العمر ست سنين ، مما ساءت وتدهورت الاحوال في حلب ، حيث ان الخادم لؤلؤ ((جرى على قاعدته في سوء التدبير)) [٥٤] ،وتعاقبت سلطات الخدم والغلمان على حلب طيلة الفترة الممتدة من سنة ٥٠٨ هـ –١١١٤م وحتى سنة ٥١١ هـ – ١١١٧م وعاشت حلب اوضاعاً قلقة ، ويصف لنا ابن العديم احوال المدينة في تلك الاوقات بقوله ((ومن العجائب ان يخطب الملوك لحلب فلا يوجد من يرغب فيها ولا يمكنه ذب الفرنج عنها ، وكان السبب في ذلك ان المقدمين كانوا يريدون بقاء الفرنج ليثبت عليهم ما هم فيه))[٥٥]، وفي تلك الظروف الحرجة تداعى اعيان المدينة لعقد اجتماع بينهم للتداول في وضع المدينة وعلى رأسهم القاضي بن الخشاب متولي أمور حلب كما يذكر ابن العديم بقوله ((والقاضي أبو الفضل بن الخشاب هو المرجوع اليه في حفظ المدينة والنظر في مصالحها)) [٥٦]،رغم ان خدم الملك رضوان لازالوا قابعين في قلعة المدينة مقر حكمهم [٥٧] وقرر اعيان البلد استدعاء الامير القوي نجم الدين أيلغازي بن أرتق أمير ماردين _ احدى مدن دياربكر- وتسليمه حكم المدينة للذب عنها بوجه الخطر الصليبي بعد ان ضمن له القاضي ابن الخشاب نفقات جنده وميرتها وذلك سنة ٥١١ هـ – ١١١٧ م [٥٨]، وقد وصل ايلغازي حلب وتسلم حكمها ونظم امورها بمعاونة

اعيان البلد ثم سافر إلى ماردين لجلب العساكر ، وعاد بعدها ثانية إلى حلب سنة ٥١٣ هـ – ١١١٩م وبرفقته اربعين ألفاً من الجند المقاتلة (٥٩).

وبانضمام حلب الى ماردين وتوحيد امكانات البلدين قد ابعد شبح سقوط حلب بيد الصليبين وتحول حلب من حالة الدفاع إلى الهجوم من جهة ، كما وأصبحت حلب في ما بعد الركيزة الاساسية للخطوات اللاحقة في مسيرة التحرير التي استكملها الاتابكة الزنكيين والايوبيين فيما بعد (٦٠).

ولم تقتصر مساهمة القاضي ابن الخشاب على قرار دعوة الامير نجم الدين ايلغازي ، وتذليل الصعوبات التي واجهته في مرحلة تسلمه حكم المدينة ، بل تعدى ذلك إلى مشاركته الفعلية في القتال إلى جانب قوات حلب وماردين في المعركة الشهيرة المعروفة في المصادر الاسلامية بـ((معركة سرمدا)) (*) سنة ٥١٣ هـ -١١١٩م، وكانت هذه المعركة بمثابة الفتح الاسلامي في بلاد الشام حيث كانت من نتائجها الاجهاز على جموع القوات الانطاكية الصليبية الت يقدر عددها بما يقارب(عشرون ألف بينهم ثلاثة آلاف فارس وتسعة الآف راجل اضافة إلى ما تجمع من قوات الأرمن وبيت المقدس وطرابلس وتقدر بالآلاف ومعززة بقطع الصلبان لشحذ الهمم ورفع معنويات الجند ، كما قتل أمير انطاكية ((روجر)) في أرض المعركة (٦١).

ويروي ابن العديم ان القاضي بن الخشاب قد أقبل بنفسه الى وسط ساحة المعركة قبل بدايتها وهو مرتدياً لامة الحرب وبيده رمح ثم اعتلى دكة نصبت له وخطب في الجند خطبة بليغة ذكرهم فيها بواجب الجهاد وقتال اعداء الاسلام ، وفضل الجهاد لإثارة حماسة الجند واستنهاض عزائمهم(٦٢)، وحاول بعض امراء عسكر ماردين التقليل من شأن القاضي بن الخشاب قائلا" بازدراء((انما جئنا من بلادنا تبعاً لهذا المعمم!!))(٦٣) لكن ذلك الامر لم يثني ابن الخشاب من مواصلة خطبته غير مكترثا" بالأمر حتى انه أبكى الناس وعظم في اعينهم كما يذكر المؤرخ (٦٤).

وتحدثت الكثير من المصادر التاريخية الاسلامية منها والصليبية عن هذا الانتصار الكبير الذي تحقق في معركة(سرمدا) ،ونورد هنا وصف المؤرخ الصليبي وليم الصوري الى ماآلت اليه احوال الصليبين في المعركة بقوله ((لم

يفلت من الألوف الكثيرة التي تبعت سيدها من يروي لنا سيرة القتال[٦٥]،وفي وصف آخر يقول ((وفاز العدو .... وهزم المسيحيون وقتل جميع جنودنا تقريباً بالسيف))[٦٦].

لم تلبث هذه الافاقة والصحوة الا قليلا" ، اذ شهدت الاوضاع في حلب ارتدادا" الى الوراء بعد وفاة الامير نجم الدين ايلغازي في الاول من رمضان سنة ٥١٦ هـ -١١٢٢م ، فلم يتمكن الامراء الاراتقة الثلاث الذين اعقبوه في حكم حلب من ضبط الأمور فيها، وهم ابني اخيه الامير سليمان بن عبالجبار بن ارتق وبلك بن بهرم بن أرتق وابنه تمرتاش ، رغم تميز الامير بلك عن أقرانه[٦٧] ، ومما زاد الطين بلة حدوث التنازع الاسري بين هؤلاء الأمراء حول الاملاك الأرتقية في ديار بكر وحلب ، مما شجع تلك التطورات جوسلين أمير (تل باشر)) المتاخمة لحدود حلب الشمالية الشرقية على شن الغارة على المدينة في أواخر شعبان سنة ٥١٧ هـ - ١١٢٣م ، وعاثت قواته فسادا" في نواحي حلب الشمالية والشرقية المشهورة بالحقول الزراعية والبساتين ونهب أموال وأقوات الحلبيين في مناطق بزاعا والوادي ، ويروي المؤرخ ابن العديم اخبار سير الحملة ووصف الدمار الكبير الذي حل بمناطق حلب الزراعية اذ يقول ((فسار-أي جوسلين – الى الوادي وقاتل بزاعا وأحرق بعض جدرانها ثم أحرق الباب وقطع شجره وأحرق ماسواه من الوادي))[٦٨]، ولم يكتف جوسلين بذلك بل واصل سيره نحو حلب نفسها ونازلها من((ناحية (مشهد الجف) من الشمال وخرب المشاهد والبساتين ، وكسر الناس عند (مشهد طرود) بالقرب من بستان النقرة وقتل وسبى مقدار عشرين نفرا" ، ثم رحل ونزل الجانب الغربي في البقعة السوداء ، وخرب مشاهد الجانب القبلي))[٦٩]، ولم تثن تلك الاعمال اهل حلب من الدفاع عن مدينتهم فيذكر ابن العديم ((والحلبيون في كل يوم يقاتلونه أشد قتال ويخسر معهم في كل حركة))[٧٠] وتزعم القاضي ابن الخشاب حركة الدفاع عن حلب ولم يستطع جوسلين من دخولها مما اضطر الى التراجع والانسحاب في مستهل شهر رمضان ونزلت قواته في طريق العودة بمنطقة تدعى (السعدي) ، واخذت قواته تقطع شجرها وتخرب بساتينها[٧١] ، وردا" على افعال جوسلين واساءته للمشاهد المقدسة لدى اهالي حلب، فقد أمر القاضي ابن الخشاب بموافقة

اعيان المدينة بهدم محاريب اربعة كنائس كانت لنصارى حلب ، وبناء محاريب الى جهة القبلة بدلا" عنها وتغيير ابوابها واتخاذها مساجدا" ، ومنها الكنيسة العظمى وكنيسة الحدادين وكنيسة بدرب الخراف ، ولم يترك لهم سوى كنيستين لاغير ، وكانتا باقيتين في أيام المؤرخ ابن العديم(٧٢) .

ومما تجدر الاشارة اليه ان حلب في وقت حملة جوسلين كانت تعاني فراغا" في السلطة على أثر مغادرة أميرها بلك بن بهرام لها نحو ماردين ، ولم يعد اليها الا بعد مرور حوالي ثلاثة اشهر من أنقضاء حملة جوسلين اذ عاد اليها في يوم الاربعاء ٢٦ ذي القعدة سنة ٥١٧ هـ - ١١٢٣م (٧٣).

ولم تنفك حلب من مواجهة خطرا" كبيرا" آخر بعد مرور عام على حملة جوسلين وذلك في سنة ٥١٨ هـ- ١١٢٤م ، وتمثل هذا الخطر أثر توحيد ملك بيت المقدس بلدوين وكان ايضا" وصيا "على حكم انطاكية والامير جوسلين أمير تل باشر جهودهم في ضم حلب وجعلها تابعا" لأملاك الملك بلدوين ، سيما بعد نجاحهم في عقد تحالف مع بعض أمراء المسلمين(٧٤) وقد شجع الصليبيين وحلفائهم على هذه الخطوة ان حلب كانت تعيش أجواء الفوضى والاضطراب ناجمة عن الاوضاع المضطربة ، أثر مقتل أميرها بلك بن بهرام في ربيع الاول سنة ٥١٨ هـ -١١٢٤م وعجز اميرها الجديد حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي وضعفه في الدفاع عن أملاكه في حلب، وزاد الوضع تعقيدا" بعد مغادرة تمرتاش المدينة متوجها صوب ماردين في ٢٥ رجب سنة ٥١٨ هـ-١١٢٤م تاركا" المدينة بيد نائبه ابن عمه سليمان بن عبد الجبار والحاجب عمر مع قوة صغيرة تقدر ب (٥٠٠) فارس لا غير(٧٥) ، وقد اتصف تمرتاش بالضعف وعدم الجدية كما وصفه ابن العديم بقوله((فأما تمرتاش فانه لما ملك حلب ألهاه الصبى واللعب عن التشمير والجد والنظر في أمور الملك ، ففسدت الاحوال وضعف أمر المسلمين بذلك))(٧٦) ، كما انه فضل تثبيت ملكه في ماردين على حكم حلب بعد وفاة أخية سليمان بن ايلغازي وترك المدينة في تواجه مصيرها بنفسها .

تحركت القوات الصليبية بقيادة بلدوين وجوسلين وقوات الامراء المسلمين المتحالفين معهم ووصلت بسهولة الى أبواب المدينة في شعبان سنة ٥١٨ هـ - ٢٠ تشرين الثاني ١١٢٤م(٧٧) وبلغت قواتهم كما يذكر ابن العديم ((ثلاثمائة

خيمة للفرنج ومائتا خيمة للمسلمين))[٧٨] ، وقد اختلف هذا الحصار عن سوابقه ، فقد خطط القادة الصليبيين لفرض حصارا" طويل الامد بهدف اضعاف قدرات اهالي حلب ومن ثم استسلامها ، فيذكر ابن الاثير انهم ((وطنوا أنفسهم على المقام الطويل وانهم لا يغادرونها حتى يملكوها وبنوا البيوت لأجل البرد والحر))[٧٩] ، وكان المتولي على المدينة ويقوم بمقام الرئاسة وتدبير أمورها القاضي ابو الحسن بن الخشاب ((وتولى حفظا لمكان وبذل المال والغلال))[٨٠]، ودام حصار المدينة لأكثر من خمسة أشهر وعانى الحلبيون أشد المعاناة ، لاسيما بعد نفاذ ما عندهم من الميرة والأقوات ، ويأسهم من وصول الامدادات والنجدات من المناطق المجاورة ، فيذكر ابن العديم نقلا" عن جده المعاصر للأحداث ان اهالي حلب((أكلوا الميتة وقلت الاقوات ونفذ ما عندهم من المؤن وفشا فيهم المرض، فكان المرضى يئنون لشدة المرض))[٨١]، ورغم تلك الظروف العصيبة يذكر ابن العديم انهم كانوا يخرجون ليلا" من المدينة على شكل مجموعات صغيرة من باب العراق لشن الغارات الخاطفة على العدو وقتل وأسر افراده ونهب خيامهم ، وقاموا أيضا" بنصب الكمائن لقطع الطريق على العدو ومنعه من الوصول الى داخل الاسوار والأبواب [٨٢].

وندد الحلبيون بموقف الامراء المسلمين المتحالفين مع العدو أشد التنديد فكانوا يصيحون على الامير دبيس من وراء الاسوار ((دبيس يانحيس))[٨٣]، ولما علم العدو بعجزه عن اختراق الخطوط الدفاعية الحلبية ، لجأت قواته الى أنتهاج أسلوب الزحف البطيْ وتدمير ما يصادفها من الاشجار والثمار والحقول الزراعية ولم يكتفوا بذلك بل عمدوا الى الاساءة الى مقدسات الاسلام ورموزه وينقل لنا ابن العديم صورة عن تلك الممارسات الهمجية فيقول((فخربوا مشاهد كثيرة ونبشوا قبور الموتى واخذوا توابيتهم الى الخيم وجعلوها أوعية لطعامهم وسلبوا الأكفان وعمدوا الى من كان من الموتى لم تتقطع اوصاله فربطوا في أرجلهم الحبال وسحبوهم مقابل المسلمين ، وجعلوا يقولون(هذا نبيكم محمد!) وآخر يقول: هذا عليكم !) وأخذوا مصحفا" من بعض المشاهد بظاهر حلب وقالوا: يامسلم أبصر كتابكم) وثقبه الفرنجي بيده ، وشده بخيطين وعمله ثفرا" [*] لبرذونه ، فظل البرذون يروث عليه ، وكلما أبصر الروث على المصحف صفق

بيديه، وضحك عجبا" وزهوا"))[٨٤] ، وكان جنود العدو كلما ظفروا بأحد الحلبيين يقومون بقطع يديه ومذاكيره ويدفعونه الى اصحابه ورد الحلبيون أيضا" عليهم بالمثل بمن يأسرونه منهم[٨٥] .

وعلى الرغم من اشتداد حدة المعارك فان المراسلات لعقد الهدنة كانت مستمرة لكنها باءت أخيرا" بالفشل [٨٦]، وبعد تعثر تلك المراسلات قرر القاضي ابن الخشاب واعيان المدينة وقادتها ارسال وفد من قبلهم الى ماردين لحث الامير تمرتاش بن ايلغازي على انقاذ حلب من الحصار الصليبي ، ودرء الخطر المحدق بها ، واتفقوا على تسيير القاضي الحلبي ابو غانم محمد بن هبة الله بن ابي جرادة ونقيب الاشراف زهرة بن ابي زهرة والفقيه ابو عبدالله بن الجلي ، ولدى وصول الوفد الى ماردين فوجئْ بتجاهل وتماهل الامير تمرتاش وبعد الالحاح عليه من قبل الوفد لم يتوان من زجهم في السجن[٨٧]، لكنهم بعد وقت طويل تمكنوا من الهرب من السجن والسير صوب الموصل طلبا" لنجدة أميرها آق سنقر البرسقي الذي لبى طلبهم وسار بقواته نحو حلب ووصل مشارفها يوم الخميس ٢٢ذي الحجة ٥١٨ هـ– ١١٢٤م [٨٨].

وبعد ورود الاخبار بمقدم أمير الموصل الى أسماع الملك بلدوين وحلفاءه، ارتحل بقواته بعيدا" عن أبواب وأسوار حلب تحاشيا" من الدخول في معركة مع الامير القادم ، ونزلت قواته على((جبل الجوشن)) غربي حلب ، مما شجع القاضي ابن الخشاب على الخروج من حلب ومهاجمة مؤخرة القوات الصليبية المنسحبة وتمكن اتباعه من قتل وأسر العديد منها وغنم خيامهم [٨٩]، لكن الامير آق سنقر نصح القاضي ابن الخشاب بالعودة وامر جنده الرماة برد العسكر الحلبي الى المدينة ، ويروي ابن العديم المحاورة التي جرت بين القاضي ابن الخشاب والأمير آق سنقر ويقول((فجعل القاضي ابن الخشاب يقول له ! يامولانا لو ساق العسكر خلفهم أخذناهم فانهم منهزمون والعسكر محيطة بهم)) فقال له :((يا قاضي تعلم أن في بلدكم مايقوم بكم وبعسكري لو قدر علينا— والعياذ بالله—كسرة)) فقال : ((لا)) فقال : ((مايؤمننا ان يرجعوا علينا ويكسرونا ويهلك المسلمون، ولكن قد كفى الله شرهم وندخل الى البلد ونقويه وننظر في مصالحه ونجمع لهم ان شاء الله ونخرج اليهم بعد ذلك))[٩٠].

وعلق المؤرخ الانكليزي رنسيمان على خطوة توحيد الموصل وحلب في ظل قيادة البرسقي بالقول ((سرعان ما غدت الامارة التي شكلها البرسقي نواة" لما قام بعدئذ في الشام من دولة اسلامية متحدة زمن الزنكيين والايوبيين والمماليك ولم يكن الصليبيون الذين وحد بينهم نظام الملكية في بيت المقدس يواجهون قبل ذلك سوى بلاد تتنازعها في الشام قوى عديدة واقطاعات متفرقة زادت من ضعفها، وما حدث من توحيد حلب مع الموصل يعتبر بدء توحيد الجبهة الاسلامية التي لو قدر لها ان تقضي في يوم من الايام على قوة الصليبيين في الشام))[٩١] .

وفي عهد الامير آق سنقر البرسقي ،فقد اغتيل القاضي ابو الحسن بن الخشاب ليلا" بالقرب من داره في سنة ٥١٩ هـ–١١٢٥م وقد انفرد ابن شداد بذكر محل وتاريخ مقتله ولايزيد على ذلك [٩٢]، بينما يلقي الاستاذ معلوف بمسؤولية اغتياله على عاتق الاسماعيلية في حلب لعدواتهم الشديدة له بعد وقوفه بحزم لتحجيم نفوذهم بحلب[٩٣]، وخلفه في الزعامة ولده الكنى بابي الفضل وابي الحسن يحيى بن محمد بن الخشاب[٩٤].

وابان حقبة حكم الاتابكة الزنكيين لحلب(٥٢٢ هـ– ١١٢٨م/ ٥٧٩ هـ– ١١٨٣م) فقد ظلت اسرة بني الخشاب تتمتع بنفس المكانة التي كانت عليها ابان الحقب السابقة لها ، فقد عمد الاتابك عماد الدين زنكي مؤسس الدولة الزنكية في حلب (٥٢٢ هـ–١١٢٨م/ ٥٤١ هـ–١١٤٦م) الى توطيد علاقته باسرة بني الخشاب وكسب ودهم ومشاورتهم فيذكر المؤرخ ابن شداد ان القاضي ابو الفضل بن الخشاب كان من اشد المقربين للاتابك عماد الدين زنكي ويذكر ان الاتابك اصطحبه في سفره الى الموصل سنة ٥٣٩ هـ– ١١٤٤م وحظي بمنزلة عظيمة لديه ، فقد أنزله بحفاوة في دار أعددت له خصيصا" في الموصل ، وأمر كبار دولته بالتردد اليه والاجتماع به ، وزاد في اكرامه اذ زوجه أحد سراريه وهي والدة ابنه القاضي فخر الدين بن الخشاب ، وظل مقيما" في الموصل حتى مقتل الاتابك عماد الدين زنكي وهو يحاصر قلعة جعبر سنة ٥٤١ هـ– ١١٤٦م فعاد بعدها الى حلب[٩٥].

ومما يدل على قوة ومكانة القاضي أبو الفضل بن الخشاب في عهد زنكي، فان الاخير لما توجه بحملته لحصار شهرزور سنة ٥٣٤ هـ–١١٣٩م[٩٦] كان قد أصدر أوامره لرئيس المدينة صفي الدين علي البالسي بجمع أموال من الاهالي لصرفها على الجند المقاتلة ، مما ولد ذلك تذمر واستياء الحلبيين الذي شكوا أمرهم الى القاضي ابن الخشاب طالبين منه ثني رئيس المدينة عن تلبية أمر زنكي ، وفعلا" توجه القاضي في يوم الجمعة وأمر بإحضار البالسي كما يذكر المؤرخ الحلبي ابن شداد قائلا" له : أنا أعطي نصف ماطلب منهم ، وأنت وسائر كبراء حلب النصف الآخر، مما ازعج هذا الموقف البالسي الذي كتب كتابا" الى زنكي يعلمه بماجرى من قبل القاضي ابن الخشاب ، ولم تصدر من الاتابك زنكي ايه ردود فعل سلبيه تجاه القاضي [٩٧].

وحظي القاضي ابن الخشاب بتوقير الاتابك نور الدين محمود بن زنكي الذي خلف أباه في حكم حلب(٥٤١ هـ–١١٤٦م / ٥٦٩ هـ–١١٧٣م) ، ولما قدم الاتابك لحلب لتسلم حكمها فكان القاضي ابن الخشاب في مقدمة المستقبلين له ، وما ان عزم القاضي على الترجل للسلام على الاتابك حتى ترجل الاخير أيضا" له والسلام عليه [٩٨].

ولم تقتصر مكانة بني الخشاب في عهد الزنكيين على المشاورة والتقرب ، بل ساهم من ابناء الاسرة في حروب زنكي ضد الصليبيين ، فيذكر ابن العديم ان القاضي أبو يعلى بن الخشاب استشهد في احدى معارك الامير (سوار) نائب زنكي على حلب سنة ٥٢٨ هـ– ١١٣٣م اذ كان بصحبة الامير وهو يقاتل امير حصن القدموس الصليبي في منطقة تدعى (نواز) من نواحي حلب ، واستشهد معه ايضا" الفقيه ابو القاسم التركماني أيضا"[٩٩].

وبعد وفاة الاتابك نور الدين محمود في ١١ شوال سنة ٥٦٩ هـ–١١٧٣م في دمشق خلفه في الحكم ولده الملك الصالح اسماعيل وكان عمره وقتذاك احدى عشر عاما" ، وقد ساعد صغر سن الصالح على قيام التنافس والتنازع بين الامراء للاستحواذ على السلطة ، وكل واحد منهم يمني النفس ان يكون راعيا" لشؤون الملك الصالح [١٠٠].

وأما حلب فما ان وردت الاخبار من دمشق بوفاة الاتابك نورالدين حتى دب النزاع بين اقطاب السلطة في حلب من جهة ، واتباع القاضي أبو الفضل بن الخشاب من جهة أخرى، وقد أسبغ أمراء حلب على الصراع بعدا" طائفيا"[١٠١] وكانت مقاليد الحكم في حلب يتقاسمها أمراء العسكر وهم بني الداية نواب الاتابك نور الدين ، فكان الامير شمس الدين علي بن الداية أمير العسكر والديوان ، وأخواه الامير بدر الدين حسن بمنصب شحنكية حلب والامير سابق الدين عثمان، وتولى شؤون قلعة حلب شاذبخت الخادم[١٠٢]، ولما سارع بنو الداية لفرض سيطرتهم على المدينة عنوة اصطدموا بمعارضة قوية من قبل القاضي ابو الفضل بن الخشاب رئيس المدينة ومقدم الاحداث فيها ،وقد حظي بدعم ومناصرة أغلب أهالي حلب كرها" منهم لبني الداية[١٠٣] ويبدو ان سبب تعجيل بني الداية في السيطرة على مقاليد الامور في المدينة ما تبادر اليهم من أنباء بمكاتبة الملك الصالح اسماعيل الى القاضي ابو الفضل بن الخشاب من دمشق بحفظ البلد لحين وصوله اليها كما يذكر المؤرخ ابو شامة[١٠٤] ، مما أثار ذلك الامر حفيظة الامير بدر الدين حسن شحنكية حلب الذي راح يعمل على كسب ود الملك الصالح اسماعيل واقناعه بالمسير الى حلب وعرض خدماته عليه بعد أن أرسل اليه أخية سابق الدين عثمان رسولا" من قبله الى دمشق من جهة ، والعمل على التخلص من وجود القاضي ابن الخشاب في حلب مهما كلف الثمن ويؤيد ذلك ما أورده ابن العديم بقوله ((وكان بدر الدين وأخواه أرادوا ان تقع الفتنة بحلب بين الشيعة والسنة ليستقيم أمرهم))[١٠٥] ، وفعلا" نجحت خطة بدر الدين حسن وحدثت الفتنة فقد اصطف الكثير من اهل السنة الى جانب بني الداية ، بينما مال الشيعة وقسما" من أهل السنة الى جانب القاضي ابن الخشاب[١٠٦] ، ومن بين علماء أهل السنة ممن وقفوا الى جانب بدر الدين الفقيه قطب الدين بن العجمي والشيخ ابو يعلى بن أمين الدولة وبنو قاضي بالس ، وكان بدر الدين قد فاتحهم بالامر ليلا" وحظي بتأييدهم[١٠٧].

وشهدت حلب أجواءا" من القلق والاضطراب والتشاحن الداخلي بعدما ابتدأ الامير بدرالدين حسن بتوجيه رسالة الى القاضي ابن الخشاب يهدده فيها ويطلب منه المثول أمامه قائلا" فيها ((ان جماعة عندي قذفوك ، وتحدثوا بأنك

تطعن في الدولة وانك تريد ان تملك حلب))[١٠٨] ، وكان جواب القاضي ابن الخشاب ومن معه من بني طرسوس رفض طلب بدر الدين ، وتأزمت الاوضاع في المدينة بعد ان قام بدر الدين حسن بدعوة جنده وأهل البلد من السنة والبسهم السلاح ، ونجح في أقناع متولي قلعة حلب شاذبخت الخادم بالوقوف الى جانبه محرضا" اياه بالقول ((ان ابا الفضل ابن الخشاب يريد ان يملك البلد وقد مال اليه الشيعة وبعض السنة ، فتعينني بنقابين وزراقين حتى أقبض عليه واعتقله الى ان يحضر الملك الصالح [١٠٩] ،وفي ظل هذه الاجواء المتشنجة فقد حدثت في البلد فوضى عارمة ، وهاجت الشيعة وبعض أهل السنة وهجمت على دور قطب الدين بن العجمي والشيخ ابو يعلى بن أمين الدولة وابي جعفر بن المنذر ولم تسلم من التخريب والنهب انتقاما" لموقفهم المؤيد لبدرالدين، كما هجم هؤلاء على دور الاغنياء ونهبوها [١١٠] ، وفي مقابل ذلك فقد عمل بدر الدين وشاذبخت الخادم على جمع الجند وتمركزهم في محلة(تل فيروز) وهو موضع الصاغة في أيام المؤرخ ابن العديم ، وعمد الى أخذ القلايج وأبواب محلات المحلة واستخدامها لسد الطرقات للحؤول دون وصول أنصار القاضي ابن الخشاب اليهم، بينما راحت قواته تزحف صوب دار القاضي ابن الخشاب عن طريق أسطح البيوت وبعض الطرقات المؤمنة ونجحت من الوصول اليها بعد قتال شديد راح ضحيته الكثير من اتباع الفريقين ، وقام الجند بنهب محتويات الدار ومن ثم احراقها واحراق الدور المجاورة لها[١١١] ، أما القاضي ابن الخشاب فقد تمكن من النجاة والانتقال الى احدى الدور القريبة من حمام شراحيل وأقام فيها [١١٢] ، ولم يتمكن اي من الفريقين التفرد في السيطرة على المدينة ، حتى وصول الملك الصالح اسماعيل اليها في المحرم سنة ٥٧٠هـ– ١١٧٤م وتسلم مقاليد الحكم فيها ، بعد ان اتخذ من قلعة حلب مقرا" لحكمه ، وكان بصحبته أخلص أمراء أبيه عز الدين جورديك وأخيه علي والامير سعد الدين كمشتكين [١١٣] .

وقد أستقر رأي الجميع على ضرورة التخلص من أقطاب الصراع في حلب [١١٤] ، ولما كان ليس من السهولة التخلص من القاضي ابن الخشاب لكثرة انصاره ومريديه في حلب فقد عمد الامير عزالدين جورديك الى استخدام الحيله في تنفيذ خطة قتل القاضي ابن الخشاب ، وطلب من الملك الصالح اسماعيل منح

الامان للقاضي وارسال خاتمه الشخصي أمانا" له وأرسل بطلبه للمثول أمامه في قلعة المدينة[١١٥] ، وبعد ان استجاب القاضي ابن الخشاب لطلب الملك الصالح ، سار صحبة قوة من أنصاره لمقابلة الملك الصالح، وما أن دخل باب القلعة بمفرده انهال عليه الامير علي بن جورديك بالسيف وقتله ، وجاء من بعد الجند وأحتزوا رأسه وعلقوه على أحد ابراج القلعة وتفرق أنصاره فيما بعد[١١٦] ، أما المؤرخ أبو شامة فيذكر أن رأسه رمي به من اعلى القلعة الى البلد [١١٧] ،وبتلك الصورة المأساوية انتهت حياة القاضي ابن الخشاب ، وقد أنتقد المؤرخ العماد الاصفهاني حادثة مقتل ابن الخشاب ووصفها بـــ ((الحالة الشنيعة))[١١٨]، بينما ألقى المؤرخ ابن الأثير بمسؤولية قتل ابن الخشاب على عاتق الفقيه قطب الدين بن العجمي وابن امين الدولة ، اذ يذكر نقلا عن المؤرخ الحلبي ابن ابي طي النجار[*] انهم ((أغروا ابن جورديك بالأموال والضياع وضمنوا له جميع ما نهب من دورهم مقابل التخلص من ابن الخشاب))[١١٩].

ولم يتوان ابن جورديك والامراء الذين معه بعد نجاحهم في القضاء على أشد المنافسين وهو القاضي ابن الخشاب من التخلص من خصومهم الآخرين من بني الداية ، فقد قبضوا عليهم بعد يوم من مقتل ابن الخشاب والقي بهم في السجن، وتبوأوا مناصب السلطة في حلب [١٢٠].

وبمقتل القاضي ابن الخشاب على يد الملك الصالح اسماعيل فقد أفل نجم اسرة بني الخشاب وتضاءل دورهم في الحياة السياسية في حلب ، لكنهم نجحوا في الحفاظ على مكانتهم المرموقة لدى أمراء حلب الايوبيين وكانوا من المقربين لدى السلطان صلاح الدين الايوبي الذي تمكن من ضم حلب الى حوزة أملاكه في بلاد الشام سنة ٥٧٩ هــ-١١٨٣م [١٢١] .

فقد عمد صلاح الدين الى التقرب من بني الخشاب وموادعتهم وكسب ودهم لتطييب قلوب اهل المدينة ، وعمد الى رد أملاك بني الخشاب اليهم وكانت قد صودرت بعد مقتل القاضي ابن الخشاب من قبل الملك الصالح ومنها (قرية الهوتة) احدى اقطاعاتهم في حلب وسلمها للقاضي مجدالدين بن الخشاب ولما توفي أقطعها للقاضي بهاء الدين الحسن بن ابراهيم بن الخشاب وبقيت بيده ما ينيف على اربعين سنة حتى وفاته سنة ٦٤٨ هــ- ١٢٥٠ م بعدها أقطعت لأسرة ثانية وهي اسرة بني

العديم[١٢٢] ، كما عمل على تعمير مشهد الامام الحسين بن علي بن ابي طالب(عليهم السلام) في حلب طلبا" لاستمالة قلوب أهل المدينة[١٢٣].

وفي عهد ولاية الملك الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين لحلب (٥٨٢ هــ- ١١٨٦م/ ٦١٣ هــ- ١٢١٦ م) كان القاضي مجد الدين ابن الخشاب من خواص الملك الظاهر والمقربين اليه ، حتى انه كان يبوح له بأسراره الخاصة ، فيذكر ابن العديم ان الظاهر قد أسر للقاضي مجد الدين بما في نفسه بعدما عزله والده عن ولايته الاولى لحلب سنة ٥٧٩ هــ- ١١٨٣م واعطاؤها لعمه الملك العادل بن أيوب بعد خمسة أشهر من توليته لها[١٢٤].

كما وحظي القاضي بهاء الدين الحسن بن ابراهيم بن سعيد بن يحيى بن محمد بن الخشاب حفيد القاضي ابو الحسن بن الخشاب بمكانة لا يدانيه فيها أحد لدى الملك الظاهر غازي أيضا" ، وذكر ابن العديم انه ((كان وجيها" عند الملك الظاهر خصيصا" به))[١٢٥] ، وقد فوض اليه الظاهر النظر في مشهد الامام الحسين (ع) الى جانب نقيب الاشراف في حلب السيد شمس الدين ابي علي الحسين بن زهرة الحسيني[١٢٦] .

وقد حصل القاضي بهاء الدين أيضا" على تفويض من الملك العزيز بن الملك الظاهر (٦١٣ هــ- ١٢١٦م / ٦٣٤ هــ- ١٢٣٦م) في توسعة مشهد الامام الحسين (ع) وانشاء حرم آخر الى جانبه [١٢٧] .

ونستدل مما تقدم على ان اسرة بني الخشاب وان ذبل دورها الفاعل في الحياة السياسية في حلب بعد مقتل القاضي ابو الفضل بن الخشاب ، الا ان ابناء الاسرة حافظوا عل مكانتهم السامية ، فكان امراء بين أيوب يقربونهم ويخطبون ودهم كما تبين في البحث ، لكننا نرى بوفاة القاضي بهاء الدين بن الخشاب سنة ٦٤٨ هــ- ١٢٥٠م احجام المصادر التاريخية التي اعتنت بإيراد تاريخ مدينة حلب ورجالها عن اي ذكر لأخبار اسرة بني الخشاب في الاحداث السياسية التي أعقبت منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ، ونعزو ذلك الى الضمور التدريجي للمذهب الشيعي في حلب وانحساره بشكل محدود مقابل زيادة أتباع المذاهب الاسلامية الأخرى بتشجيع من حكام حلب منذ منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.

الهوامش

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ١٠/ ٤٦٤٧؛زبدة الحلب في تاريخ حلب، ١٥٧/١.

(٢) بغية الطلب، ٦٢٨/٢.

(*)حصن الاكراد: وهو من اعمال حمص ، وقد اتخذ قاعدة لتأمين الحماية للقوافل التجارية الاتية والذاهبة صوب البحر، وسكن الحصن أو القلعة قبائل الاكراد ولذلك سمي بهذا الاسم ، وله تسميات اخرى مثل قلعة الحصن، وبعد استيلاء الصليبيين عليه سنة ٥٣٩ هـ – ١١٤٤م سمي بـ (حصن الفرسان) ،ينظر: ابن جبير، رحلة ابن جبير، ٢٣٢،الجلاد، قلعة الحصن، ١٢٥.

(٣) الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة(قسم حلب) ج ١،ق١ ، ٣٥ ؛ابن الشحنة ؛ الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب،، ٦٧.

(٤) بغية الطلب، ٢/ ٦٢٨

(*) مما تجدر الاشارة إليه ان هناك أسر غير حلبية اطلق عليها لقب (الخشاب) ،مثل بنو الخشاب البغداديين ومنهم الفقيه احمد بن الخشاب البغدادي المتوفى سنة ٣٦٤ ه – ٩٧٤م، وبنو الخشاب المصريين، وهؤلاء لا ينتسبون لعائلة بني الخشاب الحلبية المقصودة في البحث ، ينظر ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٤/ ٣٥٣-٣٥٤؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات، ٧/ ٢٩٢،ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب، ٣/ ١٥٥، ٤٠٣.

(٥) الحروب الصليبية كما رآها العرب، ١١٨

(٦) بغية الطلب، ٢/ ٦٢٨

(٧) الاعلاق الخطيرة، ج ١ ،ق١، ٢٤

(٨) الاعلاق الخطيرة،ج١ ،ق١ ، ٣٥

(٩) تاريخ دول الاسلام، ٤٧/ ٣٩١ ،وينظر: الطباخ الحلبي ،اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء، ٤/ ٣٩٨ ؛ الامين، اعيان الشيعة، ٣/ ٦١٠ ، ٤/ ٦٢٦.

(١٠)النجوم الزاهرة في محاسن مصر والقاهرة، ٦/ ٢١٨

(١١)نهر الذهب في تاريخ حلب، ١/ ١٧٢

(١٢)ينظر : ابن العديم ، بغية الطلب، ٢/ ٦٢٨ ، ٥ / ٢٢٤٦ ؛ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة، ج ١،ق١ ، ٢٤، ٣٥ ، ٩٦ ؛أبو شامة ،الروضتين في اخبار الدولتين، ٢/ ٣٣٠ - ٣٣١

(١٣)ينظر: ابن العديم ،بغية الطلب، ٤١٢/١، ٥/ ٢٢٤٧ ؛ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ج١، ق١ ، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٤٥، ٦٤، ١٢٤، ١٣١، ١٣٢ ؛ابن الشحنة، الدر المنتخب، ٦٦،

٦٧ ، ٨٢، ٨٣ ؛ابن الخطيب الناصرية، تكملة تاريخ حلب، ١١٤ ؛ الطباخ الحلبي ، اعلام النبلاء، ٤ / ٣٩٨ – ٣٩٩ ؛ الغزي ، نهر الذهب، ١/ ١٧٢، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ .

(١٤) بغية الطلب، ١٠ / ٤٦٧٥ .

(١٥) زبدة الحلب، ١/ ١٥٧ ،وللمزيد من التفاصيل عن شروط المعاهدة، ينظر: العريني ، الدولة البيزنطية،٤٨٤ – ٤٨٨.

(١٦) زبدة الحلب ١/ ١٥٧ – ١٥٨ .

(١٧) وجد أرمانوس الثالث الفرصه سانحه امامه لاجتياح حلب ، احد حدوث النزاع بين الاخوين الامير ثمال بن صالح المرداسي واخيه شبل، بعد ان رفض ثمال الاعتراف بحكم أخيه وطلب النجدة من الامبراطور البيزنطي والتدخل لحسم الصراع لصالحه، وبينما كانت قوات الامبراطور تحاصر حلب، نجح رؤوساء القبائل في حلب فيعقد الصلح بين الاخوين ، وتخلي ثمال عن طلب العون، لكن ذلك لم يكن في متناول يده فقد استمر الامبراطور في حربه عازماً على احتلال المدينة : ينظر، ابن العديم، زبدة الحلب، ١/ ٢٠٥ – ٢١٠ ،بغية الطلب، ١/ ٤٦٢ ؛ابن شداد الاعلاق الخطيرة،ج١ ،ق١ ، ٤٣.

(*) قوات الاحداث : وهي قوات شعبية ظهرت بشكل واضح في بلاد الشام ومنها حلب في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، ويعزى ظهورها بسبب الاوضاع القلقة التي شهدتها الساحة السياسية في بلاد الشام وتزايد حدة الصراع بين لخلافتين الفاطمية – العباسية ، ومطامع الروم البيزنطيين في المنطقة ، وانقسام بلاد الشام إلى عدة امارات متنازعة ومتصارعة مما انعكس سلبياً على الوضع الداخلي لتلك الامارات ومنها حلب، فظهرت قوات الاحداث وتتكون من الشبان اليافعين في المدينة ، ومهامهم الرئيسية كانت في بدايات تأسيسها حفظ الأمن والنظام داخل المدينة ، لكنه بمرور الزمن فقد تطور إلى مهام الدفاع عن المدينة في حال تعرضها لخطر خارجي ، كما كانت في الكثير من الاحيان طرفاً في الصراعات السياسية والمذهبية التي كانت تحدث في حلب، ينظر : دائرة المعارف الاسلامية ،(مادة الاحداث) م٢ / ٢٤٧ ،وينظر: ابن القلا نسي ،ذيل تاريخ دمشق، ٢٨ ، ٢٩ ؛ابن الاثير، الكامل في التاريخ ١٠، ٢٨٠ ، ابن العديم ؛زبدة الحلب، ١٢٥/١، طلس ؛الآثار الإسلامية في حلب، ٦٧؛زكار،تاريخ الحروب الصليبية، ١/ ٣٥،٣٦.

(١٨) الاعلاق الخطيرة،ج١ ق١ ، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٤٣ ؛وينظر أيضا" ابن العديم، بغية الطلب، ١/ ٤٦٢؛زبدة الحلب، ١/ ٢٠٥ - ٢٠٨

(١٩) ابن العديم، زبدة الحلب، ١/ ٢١٠ ؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ٤٣.

(٢٠) زبدة الحلب، ١/ ٢٠٨ .

(٢١) للتوسع في المزيد من التفاصيل عن الحملة ينظر : العريني، الدولة البيزنطية، ٧٧٨-٧٨١.

(٢٢) زبدة الحلب، ٤٦١/١ – ٤٦٢ .

(٢٣) الاعلاق الخطيرة،ج١ ،ق١ ، ٤٣

(٢٤) كان أهل حلب قد كاتبوا السلطان السلجوقي ملك شاه بن ألب أرسلان لتسليمه المدينة، اثر دخول أخيه تتش أليها سنة ٤٧٩ هـ -١٠٨٦م ، ومحاصرة قلعتها ، وما أن وصل ملك شاه إلى حلب فقد ارتحل تتش عنها وتسلم المدينة من أهلها، وقبيل مغادرته لها عين عليها مملوك أبيه ومملوكه قسيم الدولة آقسنقر بن عبد الله واليا" عليها، وكان هذا الوالي من خواص أبيه وخواصه وعمل حاجباً لدى السلطان ألب أرسلان، ينظر : ابن الأثير، الكامل ، ١٠ / ١٦٢ ؛ابن العديم ، زبدة الحلب ، ٢/ ١٠٢ – ١٠٣ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٤١/١؛ ابن العبري، مختصر تاريخ الدول، ١٢٠ ؛ابن واصل، مفرج الكروب؛ ١١/١ ؛الداوداري، الدرة المضيئة،٤١٢؛ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤٧/١٢.

(٢٥) ينظر بصدد ذلك : ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج١،ق١ ، ٣٤ ؛ابن الشحنة ، الدر المنتخب، ٦٦- ٦٧.

(٢٦) ينظر : حسنين ،سلاجقة إيران والعراق؛ ٦٥، أمين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ١١٤- ١١٨.

(٢٧) تعرضت حلب إبان الحملة الصليبية الأولى سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦م إلى مخاطر التهديد الحقيقي الصليبي جراء تزايد الاعمال الحربية من جانب الأمير بوهيمند والأمير روبرت وباقي الأمراء الصليبي الذين لازالت قواتهم تحاصر انطاكية ، وخسرت حلب الكثير من نواحيها الغربية ومنها البارة ومعرة مصرين و أكثرها ايلاماً سقوط (حارم) ذات الموقع الجغرافي المهم ، كما وتعتبر مركزا" اقتصاديا هاما" لحلب : مؤرخ مجهول، اعمال الفرنجة، ٥٦ وما بعدها ؛ ابن العديم ، زبدة لحلب، ٢/ ١٣١؛حبشي ، الحرب الصليبية الأولى ،١١٠ وما بعدها .

(٢٨) ينظر، زكار،تاريخ الحروب الصليبية، ١/ ٣٩٢- ٣٩٣.

(٢٩) زبدة الحلب، ٢/ ١٥١.

(٣٠) معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ١١٨

(٣١) ابن العديم ، زبدة الحلب، ١٤٥/٢ ؛وينظر: ابن القلانسي ،ذيل تاريخ دمشق، ١٢٤ ؛ابن الأثير ، الكامل، ١٠/ ٥٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/ ١٥٤؛ابن تغري بردي ،النجوم الزاهرة ، ٢٠٥/٥ ؛ابن الشحنة ، الدر المنتخب ، ٣٥ ؛ عشري ،الاسماعيليون في بلاد الشام ومصر، ٨٤ .

(٣٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ٢/ ١٥٩ – ١٦٠

(٣٣) للمزيد من التفاصيل حول علاقة الاسماعيلية بالملك رضوان ينظر : عشري، الاسماعيليون في بلاد الشام ومصر، ٨٢ وما بعدها ؛ وهبة ، موجز تاريخ الحروب الصليبية، ٢٤ وما بعدها؛ معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ١١٨-١١٩

(٣٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ١٤٧/٢- ١٤٨ ؛ابن شداد، الأعلاق الخطيرة،ج١،ق١،٤٠-٤١؛ابن الشحنة، الدر المنتخب، ٧٧-٧٨.

(٣٥) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ٤١؛ابن الشحنة، الدر المنتخب، ٧٨ .

(٣٦) يذكر الاستاذ أمين معلوف ان القاضي ابن الخشاب كانت لديه القدرة على تحريك تياراً كبيراً من الاوساط السياسية والدينية كونه يتزعم الاغلبية في حلب ، فكان أكثر حزماً في مواجهة السلطة والضغط عليها من أجل درء الخطر الصليبي المحدق بالمدينة، ينظر: الحروب الصليبية كما رآها العرب، ١١٨

(٣٧) ينظر: زيان ،الصراع السياسي بين القوى الاسلامية، ٩-١٠ ؛ عمران، تاريخ الحروب الصليبية ، ٤٦

(٣٨) ابن القلا نسي ، ذيل تاريخ دمشق، ١٧٣؛ابن الجوزي، المنتظم، ٩/ ١٦٥؛ابن العديم، ١٥٧/٢

(٣٩) للمزيد عن موضوع الوفد الحلبي، ينظر: ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق، ١٧٣؛ابن العديم، زبدة الحلب، ٢/ ١٥٨ ؛ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/ ١٧٣ ؛الذهبي ،تاريخ دول الإسلام ٣٢/٢؛ الحريري ،الاعلام والتبيين، ٣٧.

(٤٠) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ،ج ٨ ،ق١، ٣٤؛ابن العديم ، زبدة الحلب ؛ ١٥٨/٢ ،ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/ ١٧٢.

(٤١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ١٧٤؛الذهبي،تاريخ دول الإسلام، ٣٢/٢؛ الغزي ،نهر الذهب، ٣/ ٨٣.

(٤٢) ابن الأثير، الكامل، ١٠/ ٤٨٧؛ابن العديم، زبدة الحلب، ٢/ ١٦٠ – ١٦١؛اليافعي ،مرآة الجنان، ٣/ ١٧٣

(٤٣) ابن القلانسي ،ذيل تاريخ دمشق، ١٧٥ ؛سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج٨،ق١، ٣١؛ابن العديم، زبدة الحلب، ١٥٩/٢

(٤٤) زبدة الحلب، ٢/ ١٥٩-١٦٠ ؛ معلوف، الحروب الصليبية، ١١٩.

(٤٥) ابن الجوزي، المنتظم، ٩/ ١٦٧ ؛ابن الأثير، الكامل، ١٠/ ٤٨٧ ؛ابن العديم، زبدة الحلب، ١٦٠/٢

(٤٦) ومما تجدر الاشارة إليه ان الاستاذ معلوف لم يورد المصادر التي اعتمد عليها في نقل هذه الاحداث ، إذ لم ترد في المصادر التاريخيه الاسلامية التي بين ايدينا اسم ابن الخشاب، ولعله استفاد من مصادر أخرى، ينظر: الحروب الصليبية كما رآها العرب، ١٢٤- ١٢٥ .

(٤٧) ينظر : ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ١٨٩، ١٩١ ؛ابن العديم، زبدة الحلب، ١٦٨/٢ ؛ابن الشحنة،ا لدر المنتخب، ٣٥

(٤٨) ابن العديم، بغية الطلب، ١٢٣٥/٤ ؛ زبدة الحلب، ٢/ ١٦٩

(٤٩) معلوف، الحروب الصليبية، ١٢٥

(٥٠) ابن العديم، زبدة الحلب، ١٦٨/٢ ؛وينظر: عشري، الاسماعيلون في بلاد الشام ومصر، ٨٥

(٥١) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرةج١ ،ق١ ، ١٨-١٩ ؛ وينظر بصدد مطالب السلطان محمد بن ملكشاه من الامير ألب أرسلان ،ابن القلانسي ،ذيل تاريخ دمشق، ١٨٩؛ابن العديم، زبدة الحلب، ١٦٨/٢

(٥٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ١٦٨/٢-١٦٩ ؛ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ج١،ق١، ١٩ ،

(٥٣) ابن العديم ، زبدةالحلب، ١٩٦/٢؛ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ج١،ق١، ١٩

(٥٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ١٧٢/٢؛وينظر : ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ١٩٨-١٩٩

(٥٥) زبدة الحلب، ٢/ ١٧٢- ١٧٣

(٥٦) ومما ينبغي الاشارة إليه ان هناك تباين واضح في روايات المؤرخين الحلبيين ابن العديم وابن شداد في ذكر اسماء اسرة بني الخشاب على الرغم من انهم من معاصري احفاد الاوائل منهما أمثال القاضي بهاء الدين بن الخشاب ، حيث ترد في روايات ابن العديم اسم القاضي أبو الفضل بن الخشاب حتى مقتله سنة ٥٧٠هـ – ١١٧٤م، بينما يرد اسم القاضي أبو الحسن بن الخشاب في روايات ابن شداد، ويذكر انه اغتيل في سنة ٥١٩هـ – ١١٢٥م ومن ثم انتقلت الزعامة إلى ابنه القاضي أبو الفضل يحيى والكنى ايضا" بابي الحسن ،كما ان الأب أيضا" يكنى بابي الفضل ، لذا فقد فضل الباحث مسايرة روايات ابن شداد ونورد اسم القاضي أبو الحسن بن الخشاب حتى مقتله سنة ٥١٩ هـ ،ثم العودة إلى روايات ابن العديم ونذكر اسم أبو الفضل الأبن ، كون ابن شداد أكثر دقة في نقل الأسماء من جهة ، واذما علمنا بضياع الكثير من تراجم الكتاب الكبير((بغية الطلب)) لمؤرخه ابن العديم الحلبي، ينظر: ابن العديم، بغية الطلب، ٤١٢/١؛زبدة الحلب، ١٨٥/٢ ؛ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة،ج١،ق١، ١٨، ١٩، ٣٤، ٣٥ ، ٣٦ ،

٤٠ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٦٤ ، ٩٦ ، ١٠٠، ١١٠ ؛وينظر بصدد فقدان تراجم ابن العديم ، زكار، مقدمة كتاب بغية الطلب ، ١٤/١

(٥٧) ابن العديم، زبدة الحلب، ١٨٥/٢

(٥٨) ابن القلانسي ،ذيل تاريخ دمشق ، ١٩٨ ؛ابن الأثير، الكامل، ١٠/ ٥٥٤ ؛ابن العديم، زبدة الحلب،٢/ ١٨٥

(٥٩) كان بعض امراء الجند في حلب غير راغبين في استدعاء الامير ايلغازي خشية من تضرر مصالحهم الشخصية بتقلص نفوذهم ،فأحدث هؤلاء جلبة في المدينة بعدد خول الامير اليها غير ان ابن الخشاب تمكن من تهدئة الوضع وتسهيل مهمة ايلغازي في تسلم حكم المدينة، ينظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ٢/ ١٨٠ – ١٨٦ .

(٦٠) ينظر : خليل، عماد الدين زنكي، ١٣٣ وما بعدها

(*) سرمدا : احدى نواحي حلب الغربية ، وهي من مدنها القديمة، وتتميز بوفرة خيراتها وموقعها المهم والمطل على المدينة، ياقوت، معجم البلدان، ٣/ ٨٢

(٦١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق، ٢٠٠ ؛ابن الأثير، الكامل، ٥٣١/١٠- ٥٣٢ ؛ابن العديم، زبدة الحلب، ١٨٧/٢- ١٩٠ ؛وينظر : رنسيمان، الحروب الصليبية، ٢/ ٢٣٧ وما بعدها ؛ Setton: History of the Crusade ; ١- P. ٤٤٣

(٦٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ١٨٨/٢ ،وينظر : ابن منقذ، الاعتبار، ٤٠ ،الكتبي ،فوات الوفيات، ١٢/ ٨٩

(٦٣) ابن العديم ، زبدة الحلب، ١٨٨/٢ – ١٨٩

(٦٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ١٨٩/٢

(٦٥) الاعمال المنجزة فيما وراء البحار، ٥٨٣/١ ؛وينظر : العريني، الشرق الاوسط والحروب الصليبية، ٣٣٠

(٦٦) الاعمال المنجزة فيما وراء البحار، ٥٨١/١ ؛ووردت في المصادر الصليبية عدة تسميات للمعركة ومنها ((حقل الدم)) و ((ساحة الدم)) لكثرة ما وقع فيها من قتلى، ينظر : رنسيمان، الحروب الصليبية، ٢/ ٢٣٩ ؛ باركر، الحروب الصليبية، ٥٠

(٦٧) ينظر : ابن العديم، زبدة الحلب، ٢/ ٢٠٥ – ٢٢٠

(٦٨) زبدة الحلب، ٢/ ٢١٤

(٦٩) زبدة الحلب، ٢١٤/٢

(٧٠) زبدة الحلب، ٢١٤/٢

(٧١) زبدة الحلب، ٢/ ٢١٤

(٧٢) زبدة الحلب، ٢/ ٢٤١- ٢١٥

م.د. عبد الحسن حنون جبرة
م.د. ســلام عــلي مــزعل
م.د. مهند عبد الرضا حمدان

(٧٣) ينظر : ابن العديم، زبدة الحلب، ٢/٢١٥ -٢١٦، ٢٢٠ ، ٢٢٣-٢٢٥

(٧٤) نجح الملك بلدوين في عقد تحالف مع بعض امراء المسلمين الطامحين في حكم حلب وهم الامير المزيد ي دبيس بن صدقة والأمير مالك بن سالم صاحب قلعة جعبر وانضم إلى التحالف أيضا" الملك سلطان شاه بن الملك رضوان والأمير ياغي سيان بن عبد الجبار بن أرتق صاحب بالس وكان المتوسط بين الملك بلدوين ودبيس الامير مالك بن سالم ، وقد دفع بلدوين على عقد تحالفه مع ابن صدقة ان الأخير أقنعه بأن أهالي حلب يميلون أليه وانهم سيسلمونه المدينة حال وصولهم اليها وقال له ((ان أهلها شيعة وهم يميلون الي لأجل المذهب فمتى رأوني سلموا البلد الي وانني أكون هاهنا نائبا" عنكم ومطيعا" لكم)) ينظر ابن الأثير، الكامل، ١٠/٦٢٣- ٦٢٤ ،ويذكر ابن العديم أيضا" ان دبيسا" كاتب قوما" من أهل حلب وانفذ اليهم الدنانير وسامهم تسليم المدينة إليه ، لكن رئيس المدينة فضائل بن صاعد بن بديع كشف أمر الرسالة وأطلع تمرتاش عليها _ قبل رحيله عن المدينة- فأخذهم وعذبهم وشنق بعضهم و صادر بعضا" وأحرق بعضا" ،زبدة الحلب، ٢/٢٢٢

(٧٥) ابن العديم، زبدة الحلب، ٢/٢٢٣- ٢٢٥

(٧٦) زبدة الحلب، ٢/ ٢٢٠

(٧٧) ابن الأثير، الكامل، ١٠/ ٦٢٤ ؛ابن العديم، زبدة الحلب، ٢/٢٢٤ ؛الغزي ، نهر الذهب، ٣/٨٢؛ وينظر : رنسيمان، الحروب الصليبية، ٢/ ٢٧٥

(٧٨) زبدة الحلب، ٢/ ٢٢٤

(٧٩) الكامل، ١٠/ ٦٢٣؛وينظر : ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق، ٢١٢؛ الغزي ، نهر الذهب،٣/٨٦

(٨٠) زبدة الحلب، ٢/ ٢٢٥

(٨١) بغية الطلب، ٤/ ١٩٦٤ ؛ زبدة الحلب، ٢/٢٢٦ ، ٢٢٧

(٨٢) بغية الطلب، ٤/١٩٦٤؛ زبدة الحلب، ٢/٢٢٥

(٨٣) زبدة الحلب، ٢/٢٢٥

(*) الثفر: جمعها أثفار وهو السير الذي في مؤخرة السرج ؛ابن العديم، زبدة الحلب،٢/٢٢٥ هامش(١).

(٨٤) زبدة الحلب، ٢/٢٢٤ -٢٢٥

(٨٥) زبدة الحلب، ٢/٢٢٥

(٨٦) ابن العديم، زبدة الحلب، ٢/٢٢٤ – ٢٢٥ ؛الطباخ الحلبي، اعلام النبلاء، ١/٤٥٥-٤٥٦

(٨٧) ابن العديم، بغية الطلب، ٤/ ١٩٦٤ ؛ زبدة الحلب، ٢٢٥/٢ – ٢٢٧

(٨٨) ينظر اخبار الوفد بالتفصيل : ابن العديم، بغية الطلب، ٤/ ١٩٦٣- ١٩٦٦ ؛ زبدة الحلب، ٢/ ٢٢٥ – ٢٢٨

(٨٩) ابن العديم، زبدة الحلب، ٢٢٩/٢

(٩٠) ابن العديم، بغية الطلب، ٤/ ١٩٦٥ ؛ زبدة الحلب، ٢٢٩/٢ – ٢٣٠

(٩١) الحروب الصليبية ، ٢/ ٢٧٣ ،وينظر : العريني، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ،٣٤٤-٣٤٥، وقد وصف المؤرخ الفرنسي **Grousset** اتحاد حلب والموصل بالخطر الكبير على الوجود الصليبي ونواة" لما قام بعدئذ في الشام من امبراطورية اسلامية، ينظر :

Histoire des croisades of the crusdes :١١ , p ٦٣١

(٩٢) الاعلاق الخطيرة،ج١ ،ق١ ، ٣٥

(٩٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ح١ ،ق١ ، ٣٥ ؛ معلوف، الحروب الصليبية، ١٤٠

(٩٤) حكم الاتابك زنكي حلب أثر وفاة الامير مسعود بن الأمير آقسنقر البرسقي سنة ٥٢١ هـ -١١٢٦م وحدوث فوضى في المدينة بعد سيطرة الخادم ختلغ آبه على مقاليدها ، نتج عنها بما يشبه الثورة ضد الوضع السائد ، مما استدعى ذلك قيام اعيان المدينة باستدعاء الاتابك زنكي وتسليمه المدينة وحصل الأخير على تفويض بحكم حلب من السلطان السلجلوقي محمود ، ينظر، ابن الأثير، الباهر في الدولة الاتابكيه، ٣٧ -٣٨ ؛ابن العديم، زبدة الحلب، ٢٣٧/٢ – ٢٣٨ ؛ أبو شامة، الروضتين، ١١٣/١

(٩٥) الاعلاق الخطيرة،ج١ ،ق١ ، ٣٥ ، ٩٦

(٩٦) ابن الأثير، الكامل، ١١/ ٣١

(٩٧) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ج١،ق١، ٣٥

(٩٨) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ج١،ق١ ، ٣٥

(٩٩) ابن العديم، زبدة الحلب، ٢٥٢/٢

(١٠٠)كان الاتابك نور الدين محمود قد نجح في سنة ٥٤٩ هـ – ١١٥٤ م في ضم دمشق الى أملاكه في بلاد الشام واختارها مقرا" لحكمه بدلا" من حلب التي عين عليها نوابا" عنه وكانوا جميعا" من الأمراء العسكر ، وعلى اثر وفاته فقد دب الخلاف بين نوابه بني الدايه في حلب والأمراء الذين في دمشق حول الاستئثار بالسلطة، ينظر : ابن العديم، زبدة الحلب، ٣٠٣/٢ – ٣٠٥ ، ٣/ ١٤

(١٠١) ينظر : ابن الأثير، الكامل، ١١/ ٦٥ ؛ابن العديم، بغية الطلب، ٤/ ١٨٢٣ ؛زبدة الحلب، ١٧/٣ – ١٨ ؛ ابوشامة، الروضتين، ٢/ ٣٣٠ – ٣٣١ ؛ابن خلدون، العبر، ٢٢٥/٥

(١٠٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣/ ١٥ ؛أبو شامة، الروضتين، ٢/ ٣٣١

(١٠٣) ابن الأثير، الكامل، ١١/ ٦٥ ؛ابن العديم، بغية الطلب، ٤/ ١٨٢٣ ؛ابن خلكان ،وفيات الاعيان، ٧/ ١٦٥

(١٠٤) انفرد أبو شامة من بين المؤرخين بذكر رواية مكاتبة الملك الصالح إسماعيل للقاضي أبو الفضل ابن الخشاب، الروضتين، ٣٣٠/٢ – ٣٣١

(١٠٥) زبدة الحلب، ٣/ ١٦ – ١٧

(١٠٦) ابن الأثير، الكامل، ١١/ ٦٥؛ابن العديم، زبدة الحلب، ٣/ ١٥ ؛أبو شامة، الروضتين، ٢/ ٣٣١

(١٠٧) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣/ ١٥

(١٠٨) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣/ ١٥

(١٠٩) ابن العديم، زبدة الحلب، ١٦/٢ ؛وينظر : الامين،اعيان الشيعة، ٤٥١/٢- ٤٥٢

(١١٠) ابن العديم، زبدة الحلب، ١٦/٣ ؛الطباخ الحلبي، اعلام النبلاء، ٣٣١/٢

(١١١) ابن العديم، زبدة الحلب، ١٧/٣ ؛أبو شامة، الروضتين، ٢/ ٣٣١

(١١٢) ابن العديم، زيدة الحلب، ٣/ ١٧

(١١٣) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣/ ١٨

(١١٤) ينظر : ابن الأثير، الكامل، ٦٥/١١ ؛ابن العديم، بغية الطلب، ٤/ ١٨٢٣ ؛ زبدة الحلب، ١٨/٣؛أبو شامة، الروضتين، ٢/ ٣١٦

(١١٥) ابن العديم، زبدة الحلب،٣/ ١٨ ؛أبو شامة، الروضتين، ٢/ ٣١٦

(١١٦) ابن العديم ، زبدة الحلب، ١٨/٣ ؛الصفدي ،الوافي بالوفيات، ١١/ ٥٢ – ٥٣ ؛الذهبي، تاريخ دول الإسلام، ٤٠ / ٢٣٥ – ٢٣٦ ،ابو العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢/ ٣١٦

(١١٧) الروضتين، ٢/ ٣٣٢

(١١٨) سنا البرق الشامي،ق١ / ١٦٥

(*) وهو المؤرخ الحلبي الشهير يحيى بن حميد بن ظافر بن النجار بن علي بن عبد الله الحلبي ،أديب وفقيه على مذهب الشيعة الأمامية ، وله مصنفات في مختلف العلوم، وكان والده من اقرب المقربين للسلطان صلاح الدين الايوبي ، وله تاريخ سمي باسمه ((تاريخ

ابن ابي طي)) نقل منه المؤرخ ابن الأثير وابو شامة توفي سنة ٦٣٠ هـ – ١٢٣٢م،ينظر : ابن العديم، بغية الطلب، ٦/ ٢٧٩٧—٢٧٩٨

(١١٩) الكامل، ١١/ ١٨٢ – ١٨٣

(١٢٠) ابن العديم، زبدة الحلب، ١٩/٣ ؛ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١٦٥/٧ ؛أبو شامة، الروضتين، ٢/ ٣٣٠ - ٣٣١ ؛ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦/ ٢٤

(١٢١) ازدادت فرص السلطان صلاح الدين الايوبي في ضم مناطق بلاد الشام الى املاكه في مصر بعد وفاة نورالدين محمود ورغبته في تولي شؤون حكم ابنه الملك الصالح اسماعيل، ولكن عليه ان يتخلص من الامراء المحيطين بالملك الصالح، وراحت قواته تجوب بلاد الشام طولا" وعرضا" وحاصر حلب أربع مرات ولم يستطع دخولها إلا في سنة ٥٧٩ هـ – ١١٨٣م اثر وفاة الملك الصالح في ٢٥ رجب من السنة نفسها ، وقد أحسن السلطان إلى أهلها ورضخ لشروطهم ومطالبهم في اقامة شعائرهم الدينية وفقا لمذهب الشيعي الامامي ،ينظر : ابن العديم، زبدة الحلب، ٣/ ٢١- ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٧، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤١ ، ٦٣ – ٦٩ ؛ابن واصل، مفرج الكروب، ٢/ ٢٩ ، ٤٥ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٣١ ؛الطباخ الحلبي، اعلام النبلاء، ٤/ ٢٩٩ ؛الأمين، اعيان الشيعة، ٦/ ٢٥٠

(١٢٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ج١ ،ق١ ، ١٢٤ ؛ابن الشحنة، الدر المنتخب، ١٢٤

(١٢٣) ابن العديم، بغية الطلب، ١/ ١٩٤ ،ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ج١ ،ق١ ، ٥١- ٥٢

(١٢٤) ابن العديم، بغية الطلب، ٣/ ١٩٤ ؛ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ج١ ،ق١ ، ٥٢ ؛أبو شامة ،الروضتين، ٣/ ١٩٤ ؛ابن الشحنة، الدر المنتخب، ٨٨ ؛الغزي، نهر الذهب، ٢/ ٢٨٢ ؛عثمان، مشاهد ومزارات آل البيت في بلاد الشام، ٥٢ – ٥٣

(١٢٥) بغية الطلب، ٥/ ٢٢٤٧

(١٢٦) ابن العديم، بغية الطلب، ٥ / ٢٢٤٧ ؛ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ج١ ،ق١ ، ٥٢ ؛ابن الشحنة، الدر المنتخب، ٨٨ ؛عثمان، مشاهد ومزارات آل البيت، ٥٣

(١٢٧) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ج١ ،ق١ ، ٥٢؛ابن الشحنة، الدر المنتخب، ٨٨

م.د. عبد الحسن حنون جبرة
م.د. سـلام عـلي مـزعل
م.د. مهند عبد الرضا حمدان

المصادر والمراجع

أولا" : المصادر الأولية

١- ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم ((ت ٦٣٠هـ / ١٢٣١م))
آ – الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة،١٩٦٣م
ب- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م
٢- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن ((ت ٨٧٥ هـ/ ١٤٦٩م)) ،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة العامة للتأليف والنشر، د . ت
٣- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي((ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م))،رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت ،د. ت
٤- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي(ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م))،المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الدار الوطنية، بغداد، ١٩٩٠
٥- الحريري، أحمد بن علي ((حيا" في ق ١٠ الهجري) ،الأعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين، ت حقيق د. سهيل زكار، مكتبة دار الملآح، ١٩٨١م
٦- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي ((ت ٤٣٦هـ/ ١٠٧٠م))،تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م
٧- ابن لخطيب الناصرية ،علاء الدين أبو الحسن الحلبي ((ت ٨٤٣هـ/١٤٣٩م))،تكملة تاريخ حلب، دار الكتب، بيروت، ١٩٦٥م
٨- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ((ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م))،العبر وديوان المبتدأ والخبر، منشورات الأعلمي ، بيروت، ١٩٧١م
٩- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ((ت ٦٨١هـ/ ١٢٨١م))،وفيات الأعيان في أنباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩م
١٠-الداوداري،أبو بكر عبدالله بن أيبك ((ت ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م))،الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٦١م
١١-الذهبي،شمس الدين محمد بن عثمان ((ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧)) ،تاريخ دول الإسلام ،تحقيق فهيم شلتوت، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م
١٢- سبط ابن الجوزي ،شمس الدين ابي المظفر يوسف بن قراوغلي ((ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م))،مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ط ١،حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٥١م
١٣- ابوشامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي((ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م))،الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، ط ١،مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٧

١٤- ابن الشحنة الحلبي، محب الدين محمد ((ت ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)) ، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تعليق يوسف بن الياس سركيس، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٠٩م
١٥- ابن شداد، عز الدين ابي عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم ((ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م))، الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة((قسم حلب)) ،تحقيق دومينيك سوريل ، دمشق١٩٥٣م
١٦- الصفدي، صلاح الدين خليل ابن أيبك ((ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)) ،الوافي بالوفيات، اعتناء د.س دريدرنج، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، دار صادر، بيروت ١٩٧٤م
١٧-الصوري،وليم ((٥٨١هـ/١١٨٥الاعمال المنجزة فيما وراء البحار ،نقله إلى العربية د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٣م
١٨- ابن العبري، أبو الفرج بن هرون ((ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م))،مختصر تاريخ الدول ، تعليق انطوان صالحي ، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٨م
١٩- ابن العديم، كمال الدين ابي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ((ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م)) -:
آ- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٨٨م
ب – زبدة الحلب في تاريخ حلب،ج ١ ، تحقيق د.سهيل زكار، دار الكتاب العربي،دمشق١٩٩٧م؛ج ٢وج٣ ،تحقيق سامي الدهان، دمشق ١٩٦٨م
٢٠- العماد الأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد الكاتب، ((ت ٥٩٧هـ /١٢٠١م)) ،سنا البرق الشامي ،اختصار قوام الدين الفتح بن علي البنداري، تحقيق رمضان ششن، دار الكاتب الجديد، بيروت ١٩٧١م
٢١- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، ((ت ١٠٨٩هـ /١٦٧٨م)) ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدس، القاهرة، ١٩٥٤م
٢٢- ابن القلانسي، أبو يعلى بن حمزة ((٥٠٥ هـ /١١٦٠م)) ،ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق آمدروز، مطبعة الآباء اليسوعيين ،بيروت، ١٩٠٨م
٢٣- الكتبي ، محم دبن أحمد بن شاكر ((ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م)) ،فوات الوفيات، ط ٣ ،دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م
٢٤- ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي ((ت ٧٧٤ هـ /١٣٧٢م)) ،البداية والنهاية، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٣٢م
٢٥- مؤرخ مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس،((الجستا)) ،ترجمة حسن حبشي، دار الفكر العربي، ١٩٥٨م
٢٦- ابن منقذ الكناني، اسامة ((ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م)) ،الاعتبار، تحرير فيليب حتي، مطبعة بريستون ،الولايات المتحدة، ١٩٣٠ م

٢٧- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم ((ت ٦٩٩هـ /١٢٩٩م)) ،مفرج الكروب في دولة بني أيوب ،تحقيق جمال الدين الشيال، مطبعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٣م
٢٨- اليافعي ،أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي اليمني المكي ((٧٦٨هـ/ ١٣٣٦م)) ،مرآة الجنان وعبرة اليقظان ،ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،بيروت،١٩٧٠م
٢٩- ياقوت الحموي ،شهاب الدين بن عبد الله الرومي البغدادي((ت٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)) ،معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م .

ثانيا" : - المراجع الحديثة

١- أمين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مطبعة الأرشاد ، بغداد ١٩٦٥م
٢- الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ط ٣ ،دار التعارف ، بيروت ١٣٧١ هـ
٣- باركر، ارنست، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني، دارالنهضة ، بيروت د. ت
٤- الجلاد، محمد وليد، قلعة الحصن دراسة تاريخية وأثرية، دار الفكر العربي، دمشق ١٩٩٩م
٥- حبشي، حسن، الحملة الصليبية الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٨م
٦- حسنين، عبد النعيم، سلاجقة ايران والعراق، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٥٩م
٧- خليل، عماد الدين، عماد الدين زنكي، مطبعة الزهراء، الموصل، ١٩٨٥م
٨- دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثامن، طبعة سنة ١٩٣٣م .
٩- رنسيمان، ستيفنسن، الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني ، ط ١دارالثقافة،بيروت ١٩٦٨م.
١٠-زكار،سهيل،تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٣م
١١-زيان،حامد زيان غانم ،الصراع السياسي بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية ، دار الثقافة ،القاهرة، ١٩٨٣م
١٢- الطباخ الحلبي، الشيخ راغب بن محمود ،اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ،المطبعة العلمية حلب، ١٩٢٦ م
١٣- طلس ،أسعد ، الآثار الإسلامية في حلب، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥٦م
١٤- عثمان، هاشم، مشاهد ومزارات آل البيت في الشام، ط ١،مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٩٩٤م
١٥- العريني، السيد الباز :
آ- الدولة البيزنطية، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٢
ب- الشرق الأوسط والحروب الصليبية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٣م

١٦- عشري، عبد الحميد، الإسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية،القاهرة١٩٨٢م
١٧- عمران، محمود سعيد، تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٠م
١٨- الغزي، كامل بن حسين بن مصطفى ب نبالي ،نهر الذهب في تاريخ حلب ،المطبعة المارونية ، حلب، د . ت
١٩- معلوف، أمين، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة د. عفيف دمشقية، دار الفارابي، د. ت

ثالثا":- المصادر الاجنبية

١-Grousset : Rene . Histoire des croisades duroyaum Fromde Jerusalem ,paris,١٩٣٥
٢-Setton((K. M)) A History of the Crusades , Pennsylvania, ١٩٥٨